سقوط الحضارة الغربية: قراءة في بعض الأدبيات الإسلامية والغربية

أ. حفضاوي سعيد جامعة خنشلة

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى معرفة العوامل أو الأسباب القائمة وراء احتمال سقوط الحضارة الغربية، وذلك من خلال ما ورد في بعض الدراسات المستقبلية الإسلامية والغربية التي تطرقت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى سقوط الغرب أو إلى الانهيار الأمريكي، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية هي طليعة الغرب.

Abstract:

This article aims at identifying the factors or reasons behind the possibility of the fall of Western civilization, through some Islamic and Western future studies, which directly or indirectly referred to the fall of the West or the collapse of the United States, because the United States of America is considered as the vanguard of the West.

Résumé:

Cet article a pour but de connaître les facteurs ou les raisons existantes derrière la possibilité de la chute de la civilisation occidentale, à travers ce qui est dit dans certaines des futures études islamiques et occidentaux qui touchent directement ou indirectement à la chute de l'Occident ou à l'effondrement américain, parce que les États-Unis est considéré comme l'avant-garde de l'Occident.

مقدمة:

كان المؤرخ الفرنسي "أليكسيس دي توكفيل" Alexis de Tocqueville قد تنبأ سنة 1835 بأفول معظم القوى العظمى وبزوغ نجم كل من أمريكا وروسيا، وهو ما أثار تهكم وسخرية الكثير من معاصريه الذين وصفوا فكرته بأنها "نبوءة مجنون"، باعتبار أن المناخ العام والواقع السياسي آنذاك لا يشجعان على تصديق هذا الطرح، رغم أن هذا المؤرخ لم ينطلق في طرحه من فراغ بل ربط آراءه بأهمية الأثر الجغرافي في صنع حضارة الأمم[1]. وبعد أزيد من قرن من الزمن ها هي نبوءة "أليكسيس" تتحقق في ما يسمى بالحرب الباردة بين القطب الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والقطب الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفييتي، ثم مرة أخرى بعد انهيار هذا الأخير ونهاية الحرب الباردة بتزعم الولايات المتحدة الأمريكية للعالم في ظل النظام الدولي الجديد، لدرجة أن أصبح البعض يسمي العولمة بالأمركة تأثُّرًا بالقوة الأمريكية في جميع الميادين.

(1) رشدي شحاتة أبو زيد، مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2011، ص85.

www.manaraa.com

لقد ظهر الكثير من أمثال "أليكسيس" لكن هذه المرة تتمحور نبوءتهم حول سقوط الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية. ومن بين هؤلاء الفيلسوف الياباني "تاكيشي أومي هارا" Takeshi Ohmihara الذي اعتبر أن الإخفاق التام للماركسية والتفكك المأساوي للإتحاد السوفييتي ليسا سوى نذير بسقوط الليبرالية الغربية، التي تعتبر تيار التحديث الرئيس في عالم ما بعد الحرب الباردة. وبعيدا عن كونها البديل للماركسية، والأيديولوجية الحاكمة في نهاية التاريخ، ستكون الليبرالية هي حجر الدومينو الذي عليه الدور في السقوط[1].

رغم تمتع الولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة بتفوق لم تصل إليه أعظم الإمبراطوريات منذ فجر التاريخ، فهي تمارس سيطرة لا نظير لها على كل أنحاء العالم، وتتوسط في الاضطرابات الرئيسة، إلى الحد الذي جعلها جزءًا لا يتجزأ من عملية السلام على المستوى العالمي، وتنتشر القوات الأمريكية حول العالم، وتكاد تتحول القواعد المتعلقة بالتدخل الأمريكي باسم حفظ السلام إلى التزامات عسكرية دائمة، كما تعتبر الولايات المتحدة نفسها مصدر المؤسسات الديمقراطية في العالم والضامن لها، وتسيطر على النظام المالي العالمي بتوفير أكبر مجمع لرأس المال الاستثماري، والملاذ الأكثر جاذبية للمستثمرين، وأوسع سوق للصادرات الأجنبية، كما تحدِّد الثقافة الشعبية الأمريكية معايير الذوق في كل أنحاء العالم ..[2]. إلا أنه ومع كل ذلك لا يمكن إنكار وجود تيار يرى - على عكس ما ذهب إليه فوكوياما من حتمية الزعامة الأمريكية للعالم- بروز مظاهر أو بوادر لما يمكن تسميته بانهيار أو سقوط الغرب.

من ثم يمكن طرح الإشكالية التالية: **ما هي أسباب أو عوامل سقوط الحضارة الغربية؟**. ولتحليل هذه الإشكالية لا بد من تحليل مضامين عدة دراسات لعدد من المفكرين المسلمين والغربيين، أمثال: مالك بن نبي وأوزوالد شبنجلر Oswald Spengler وروجي غارودي Roger Garaudy وهاري إي فيجيHarry E.Figgie وجاك أتالي Attali Jacques وزبيغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski ونعوم تشومسكيNoam Chomsky وبول كيندي Paul Kennedy وموريس بيرمان Morris Berman وتاكيشي أومي هارا Takeshi Ohmihara وغيرهم. فكلٌّ من هؤلاء تناول الانهيار الغربي أو الأمريكي من زاوية معينة بحسب الأسباب

(1) صامويل هنتينغتن، **صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، دار سطور، عمان، الأردن،ط2، 1999**، ص495.

(2) هنري كيسنجر، **هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟: نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص ص 7 - 8.

www.manaraa.com

القائمة وراءه من وجهة نظره. من هنا يمكن سرد أهم الأسباب والعوامل الكامنة وراء احتمال سقوط الغرب عموما وأمريكا على وجه الخصوص في ثلاثة محاور كما يلي:

- محدودية الدورة الحياتية للحضارة.
- الاختلال بين الفكرة والمادة.
- الولايات المتحدة الأمريكية كطليعة للانحطاط.

المحور الأول: محدودية الدورة الحياتية للحضارة

قبل الحديث عن آراء المفكرين التي تتمحور حول فكرة محدودية الدورة الحياتية للحضارة لا بد من الإشارة إلى أن القرآن الكريم كان سبّاقا إلى طرح هذه الفكرة، وذلك من خلال قول الله تعالى: **{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}**[1]، تتحدث هذه الآية عن أعمار الأمم وآجالها، فإذا ما انتهى عمر أمة وجاء أجلها انتهت وزالت. فالله سبحانه وتعالى يُوجِدُ الأمةَ، ويمكِّنُ لها في الأرض، ويحدِّد لها عمرها، ويقدِّر زمنًا معيَّنًا لقوتها وسلطانها، فإذا جاء أجل الأمة أوقع الله بها أمرَه وقضى عليها، وذلك إما بتدميرها وإهلاكها أو بإضعافها وإزالة نفوذها وتقلص سلطانها[2]، وما تاريخ الأمم والإمبراطوريات القديمة والحديثة إلا نماذج تؤكد ذلك.

من بين أهم المفكرين الذين تناولوا انهيار الحضارة الغربية بحجة أن للحضارة دورة حياتية كما هو الحال بالنسبة للكائنات الحية، "أوزوالد شبنجلر" Oswald Spengler و"مالك بن نبي" ومن قبلهما ابن خلدون.

حاول "أوزوالد شبنجلر" Oswald Spengler في كتابه "أفول الغرب" The decline of the west أن يناقش مسألة انتظام الثقافات والحضارات الإنسانية، وأن يحدد مراحل التغير التي تمر بها من حال إلى حال، حيث قرر أنه ليس هناك تاريخ واحد ينظم الجنس البشري، ومن ثم فإن التقسيم التقليدي لتاريخ الإنسانية إلى تاريخ قديم ووسيط وحديث هو تقسيم تعسفي وعقيم وغير منهجي، ذلك أنه يضع الحقائق في غير موضعها، ويجعل من تواريخ حضارات وثقافات إنسانية عريقة مجرد توابع تدور في فلك الحضارة الغربية[3].

فالدلالة التاريخية الكبرى عند شبنجلر تكمن في تواريخ هذه الثقافات التي تتميز الواحدة منها بخصائص وسمات وأسلوب حياة تختلف عن سائر الثقافات والحضارات الأخرى، ما يعني أن كل حضارة تمثل في ذاتها تاريخاً مستقلاً لا يتأثر أبدا بتاريخ حضارة أخرى، ومن ثم فإن

(1) سورة الأعراف – الآية 34.

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي، **وعود القرآن بالتمكين للإسلام**، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 2009، ص 78.

(3) مصطفى النشار، **فلسفة التاريخ**، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 66.

www.manaraa.com

القول بوجود تاريخ واحد للجنس البشري ينطوي على وجود ثقافة أو حضارة إنسانية ما أن تشيخ وتفنى حتى يفنى معها الجنس البشري كله وهو ما يتنافى مع الواقع والمنطق.

تمر الحضارة الواحدة، حسب شبنجلر، بثلاثة مراحل تبدأ بالنشأة والتكوين، ثم النضج والاكتمال، وتنتهي بالشيخوخة والانجلال حتى الموت والفناء ولن تعود للحياة أبداً. إن التاريخ بهذا المعنى يكمن في تواريخ كل من هذه الثقافات، ذلك أن الثقافة الواحدة كائن حيّ، له طريقه واتجاهه الذي لا يمكن أن يحيد عنه، والذي ينتهي إلى الشيخوخة ثم الفناء، وهو في ذلك مطابق لما قال به ابن خلدون الذي قدم رؤية كلية لتفسير نشوء الدول والحضارات وانهيارها في كتابه "المقدمة"، إذ اعتبر أن الدول والحضارات لها عمر أشبه ما تكون بعمر الكائن الحي الذي يولد وينمو ثم يتجه نحو الهرم والفناء[1].

وحسب رأي شبنجلر فإن الحضارة الغربية رغم كل إنجازاتها التي حققتها وتقدمها العلمي والتكنولوجي والصناعي فإنها تسير نحو الركود والجمود، بعد أن أخذت تفقد مقومات حيويتها ونشاطها وقدرتها على الخلق والإبداع اللازم لاستمرارها، الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى اندثارها وفنائها. لقد وصف شبنجلر المرحلة الأخيرة من الحضارة بالجمود في كل مجالات الحياة، فيفقد الناس وعيهم بالتاريخ، وتنتشر الفوضى الفكرية، ويختفي الفن الحقيقي، وتسود التسلية الرخيصة، فلا يبقى في تفكير الناس سوى الخبز واللعب على حد تعبيره [2].

كما وصف شبنجلر سقوط الغرب بقوله: "إن انحطاط الغرب، الذي قد يبدو للوهلة الأولى أنه انحطاط مشابه لانحطاط الثقافة الكلاسيكية، هو ظاهرة محدودة في الزمان والمكان، وإننا نلاحظ الآن أن المشكلة، عندما نعي خطورتها وعيا كاملا، تصبح مشكلة فلسفية تشمل بداخلها كل قضية من قضايا الوجود العظمى"[3].

تتفق هذه النتيجة التي توصل إليها شبنجلر مع آرائه في تغير الثقافات والحضارات، حيث اعتقد أن عمر الثقافة الواحدة يصل إلى حوالي الألف عام، وأن الحضارة الغربية التي بدأت حسب رأيه حوالي عام 900م تعيش مرحلة احتضارها، حيث تشهد حالة من التدهور والجمود التي سوف تنتهي باندثارها وفنائها[4]، وانتقال دورها إلى آسيا التي تدل كل الشواهد على أن

---

(1) نفس المرجع، ص 66.

(2) حامد عبد الصمد، **سقوط العالم الإسلامي: نظرة في مستقبل أمة محتضر**، دار ميريت للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص4.

(3) Oswald Spengler, **The decline of the west : form and actuality**, Translated by Charles Francis Atkinson, Ruskin hous, london, 1927. p3.

(4) موسى راغب، "**هل سقطت نظرية شبنجلر حول انهيار الحضارة الغربية وتبوء حضارة التنين الأصفر محلها ؟**"، من موقع الإنترنت: http:// m.moheet.com/2012/05/19/1621129/-.html#.WDo5UBJ77Mz

تاريخ التصفح: يوم 11/04/2017.

www.manaraa.com

حضارة الجنس الأصفر سوف تأخذ مكانها، تماماً مثلما حدث عندما انتقل هذا الدور من اليونان إلى الرومان[1].

أما بالنسبة لمالك بن نبي فقد فسَّر الدورة التاريخية للحضارة بقوله: "أن حضارة تقع بين حدَّيْن اثنيْن: الميلاد والأفول [...]، والمنحنى البياني يبدأ بالضرورة من النقطة الأولى في خط صاعد ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل [...]، فطور الأفول النازل هو عكس طور النهضة الصاعدة، وبين الطورين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو: طور انتشار الحضارة وتوسعها"[2].

لقد أكد ابن نبي أن كل مجتمع من المجتمعات، قديم أو معاصر، لا يمكنه أن يحتل في لحظة تاريخية ما إلا إحدى المراحل التاريخية التالية: مرحلة المجتمع قبل التحضر، مرحلة المجتمع المتحضر، ومرحلة المجتمع بعد التحضر، كما عاب على المؤرخين تمييزَهم المركَّز بين الوضع الأول والثاني، وعدم اهتمامهم بالتمييز بين هذين الوضعين والوضع الثالث، فهم يرون أن مجتمع ما بعد التحضر هو بكل بساطة مجتمع يواصل سيره على طريق الحضارة، رغم أنه في الواقع مجتمع يتقهقر إلى الوراء بعد أن هجر درب حضارته وقطع صلته بها[3].

المحور الثاني: الاختلال بين الفكرة والمادة

كثيرا ما انتُقِدَت الحضارة الغربية في إفراطها في المادية، حيث أن الغرب قد اختل توازنه، فنَمَا عمله ونَمَت صناعاته ونَمَا عِلمه ونَمَت كل مرافق الحياة، ولكن لم يَنْمُ قلبه[4].

قال وزير الخارجية الأمريكية الأسبق فوستر دالاس John Foster Dulles في كتابه "حرب أم سلام": "إن هناك شيئا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لَما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه الحالة النفسية [...] إن ذلك أمر جديد في تاريخنا، إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون كل ما لدينا قليل"[5].

يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أهم طرحين ناقشا فكرة سقوط الحضارة الغربية من منطلق عدم التوازن بين الفكرة والمادة وهما لمالك بن نبي وروجي غارودي، كما يمكن إضافة رأي

(1) حامد عبد الصمد، المرجع السابق، ص 4.

(2) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1986، ص66.

(3) نذير طيار، "**سقوط الحضارة الأمريكية بين بن نبي ورجاء غارودي**"، جريدة الشروق اليومي، ع351، 30 ديسمبر 2001، ص 10.

(4) أحمد أمين، **الشرق والغرب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1955، ص141.

(5) عبد القادر طاش، **أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي**، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص ص40 - 41.

www.manaraa.com

جاك أتالي Jacques Attali[1] الذي يُرجِع سقوط الغرب إلى التناقض بين الشق السياسي والشق الاقتصادي للإمبريالية الغربية.

انطلق مالك بن نبي من تعريف الحضارة على أنها "نِتاج فكرة جوهرية تَطبَع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ". ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طِبقًا للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتجذَّر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى [2].

ثم حدد ابن نبي عناصر الحضارة تحديدا وظيفيا من خلال تفاعل ثلاثة عناصر هي الإنسان والتراب والوقت فيما بينها تفاعلا وظيفيا يولِّد لنا مركَّبًا يُحدّد بالعامل الديني[3]، فالتراب هو عماد حياة الإنسان المادية لأنه يعيش على ثمراته في أي ظرف كان، والوقت رهن مشيئته لا ينازعه فيه أحد، ولديه من العبقرية ما يعينه على التصرف فيهما، فهو على هذا يتصرف تصرفا تاما في الشروط الضرورية التي تتيح له أن يحصل على وسائل أقوى، ومعنى هذا أنه يستطيع أن يحوِّل وسائله البدائية إلى وسائل أكمل كلما قدر على تغيير نفسه ووعى حقيقة إنسانيته وما تقتضيه من مسؤوليات[4].

أما بخصوص صناعة التاريخ، حسب رأي ابن نبي، فإنها تتم تبعا لتأثير ثلاثة عوالم هي عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، وهي لا تعمل متفرقةً بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج أيديولوجية من "عالم الأفكار"، يتم تنفيذها بوسائل من"عالم الأشياء"، من أجل غاية يحددها "عالم الأشخاص"، فإذا كانت وحدة هذا العمل التاريخي تعد ضرورية فإن تَوافق هذه الوحدة مع الغاية منها- وهي التي تتجسد في صورة "حضارة"- يعد ضرورة أيضا، وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود "عالم رابع" هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية أو ما يطلق عليها اسم "شبكة العلاقات الاجتماعية" [5].

إن ما يجمع مجتمع ما قبل التحضر ومجتمع ما بعد التحضر، حسب ابن نبي، هو تمحورهما حول الأشياء لا الأفكار، فإذا كان عالم الأشياء في المجتمع الأول شديد الفقر فإنه في المجتمع الثاني شديد الثراء، ولكنها أشياء خامدة وخالية الفعالية الاجتماعية، وهكذا فإن الحضارة تسير بالمجتمع قوة وضعفا، وصعودا وهبوطا، تبعا لدرجة تمحوره حول الأفكار أو حول

(1) عالم اقتصاد ومفكر فرنسي، عمل مستشارا للرئيس الفرنسي الأسبق فرنسوا ميتران من 1981 إلى 1991.

(2) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 2002، ص 41.

(3) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المرجع السابق، ص ص 57- 58.

(4) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 2002، ص 98.**

(5) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 1985**، ص ص 23 - 24.

www.manaraa.com

الأشياء المحيطة به. فذروة الحضارة تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية بطريقة مباشرة أو بواسطة بديلاتها اللا دينية نفسها. كما أنها تنتهي حين تفقد الروح الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة. ومن هنا يبدو أن مشكلة الحضارة في العصر الحاضر لا تخص الشعوب الإسلامية فقط. بل إنها تخص أيضا الشعوب المتقدمة نفسها التي أصبحت مهددة بالفناء[1].

إن الفكر الغربي. حسب ابن نبي. يجنح أساسا إلى الدوران حول مفهوم الوزن والكم. وهو عندما ينحرف نحو المغالاة يصل حتما إلى المادية في شكليْها البرجوازي للمجتمع الرأسمالي والاشتراكي للمجتمع السوفييتي. أما الفكر الإسلامي بعد دخول المجتمع في مرحلة ما بعد الحضارة. فإن المغالاة تدفعه إلى التصوف المبهم وعدم الدقة والتقليد الأعمى والافتتان بأشياء الغرب. وعلّق مالك بن نبي على هذه المقارنة قائلا: "تلكم هي الحضارة في أحيانها وتقلباتها. تكون في الأوج حضارة تتركز فيها الأشياء حول فكرة حينا. وحينا تبلغ الأوج حضارة أخرى تتركز فيها الأفكار حول الأشياء[...] وما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف. بين الروح والمادة. بين الغاية والسبب. وحين يختل هذا التعادل في جانب أو في آخر تكون السقطة رهيبة قاصمة". واعتبر أن الحضارة الإسلامية قد فقدت تعادلها يوم فاتها أن ترعى سلامة هذه العلاقة بين الكم والكيف. وها نحن اليوم - كما قال- نشهد تجربة أخرى تنتهي إلى اختلال آخر. فالحضارة الغربية التي فقدت معنى الروح تجد نفسها على حافة الهاوية. كما أن المجتمع الأمريكي متمحور حول القيم التقنية. ولهذا تجد الفكرة صعوبة في التأقلم مع المناخ المادي لهذا المجتمع. ومن ثم فإن الحضارة الأمريكية. حسب مالك بن نبي. قد دخلت مرحلة الاحتضار[2].

أما روجي غارودي Roger Garaudy فحلّل من جهته الأزمة التي يعيشها الغرب. ولاحظ أنها ترجع بجذورها إلى عصر النهضة الذي وُلِدَت معه الرأسمالية والاستعمار معاً. وما صاحبه من تنكر وهدم لجميع الثقافات غير الأوروبية. فقد اتبعت الحضارة الغربية في نموها وتقدمها من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن العشرين طريقة أوصلتها- حسب غارودي- إلى أزمة داخلية عميقة. أزمة لها ثلاثة أبعاد رئيسة شَرَحَها في كتابه "حوار الحضارات"، وهي: [3]

---

(1) نذير طيار. المرجع السابق. ص 10.

(2) نفس المرجع. ص 10.

(3) زكي الميلاد. "**تعارف الحضارات: الفكرة. الخبرة والتأسيس**". **مجلة الحوار الثقافي**. **كلية العلوم الاجتماعية. جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم. الجزائر. عدد خريف وشتاء 2013**. ص8.

www.manaraa.com

1- رجحان جانب العمل، بالشكل الذي يتحول فيه الإنسان إلى مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك، ويفقد جوهره المعنوي والأخلاقي.

2- رجحان جانب العقل، واعتباره قادراً على حل جميع المشكلات، بحيث لا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم حلها، والنتيجة بعد ذلك هي عدم القدرة لا على تحديد الغايات الحقيقية ولا على السيطرة على الوسائل.

3- رجحان جانب الكم، وجعله معياراً ومقياساً لا نهائياً، بحيث يصبح النمو باعتباره نمواً كمياً صرفاً في الإنتاج والاستهلاك.

ومن ثم خلص إلى أن حضارةً تقوم على هذه الأبعاد الثلاثة هي حضارة مؤهلة للانتحار.

لقد وصف غارودي الولايات المتحدة الأمريكية بكونها منظمة إنتاج يديرها المنطق التقني أو التجاري فقط، حيث يساهم كل فرد كمنتج أو كمستهلك، متطلع إلى هدف وحيد وهو الزيادة الكمية لرفاهه، وكل هوية شخصية ثقافية أو روحية أو دينية تعد قضية خاصة لا علاقة لها في تشغيل النظام، واستشهد في ذلك بقول "دي توكفيل" De Tocqueville في كتابه "الديمقراطية في أمريكا": "لا أعرف شعبا يحتل فيه حب المال أكبر مكان في قلوب الرجال كهذا الشعب"[1].

إن الحضارة الأمريكية، حسب غارودي، ليست سوى أزمة من أزمات الحضارة الغربية، فهي الذروة في الرفاهية المادية، والطليعة أيضا في الانحطاط و"اللا معنى" و"قيم السوق" و"تقديس الوسائل" و"القفز على السؤال الفلسفي للغائية"، كما أكد أن الحضارة الغربية محكوم عليها بالسقوط لأنها فاقدة للقاسم المشترك بين كل الحضارات، وهو امتلاك الإجابات الفاصلة على أسئلة الغايات الأخيرة للإنسان، فهي الحضارة الوحيدة التي تجيب عن سؤال "ما معنى حياتنا؟" بـ "لا أعرف"، وبهذا استحقت نعت "حضارة اللا معنى" و"ديانة الوسائل" لأنها فصلت بين العلم والحكمة [2].

لقد حدد غارودي أربعة مؤشرات تنذر بدمار الحضارة الغربية هي:

1- الاقتصاد الذي تسيطر عليه الرغبة الجنونية في زيادة وسرعة الإنتاج، إنتاج أي شيء نافع أو غير نافع، ضار أو مميت.

2- السياسة التي تحكمها علاقات اجتماعية داخلية وخارجية، والتي يسودها العنف المعبر عن صدام المصالح والنزوع إلى السيطرة بين الأفراد والطبقات والأمم.

---

(1) روجيه غارودي، **الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط: كيف تجابه القرن الحادي والعشرين**، ترجمة: صياح الجهيم وميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص 28.

(2) نذير طيار، المرجع السابق، ص 10.

www.manaraa.com

3- الثقافة الخالية من المعنى والغاية، فالتقنية للتقنية والعلم للعلم والفن للفن والحياة لغير هدف.

4- الافتقار إلى العقيدة الخالية من التعالي، والتي تمثل البعد الإنساني للإنسان[1].

يمكن القول أن الطرحين السابقين يتفقان في فكرة جوهرية هي اتجاه الحضارة الغربية نحو الانهيار، في حين يختلفان في تصورهما لمعنى "الأفول" أو "السقوط". فالانحطاط الغربي عند غارودي معناه ضياعه وسط الحيرة واللا استقرار وافتقاد الحياة داخله كلّ معنًى، فهي بذلك جسد قائم بلا روح، وكون أمريكا في فكر غارودي طليعة هذا الانحطاط معناه أنها الذروة في اللا معنى والعبثية. أما سقوط الحضارة الأمريكية التي لا يمكن فصلها عن الحضارة الغربية عند مالك بن نبي فيعني بوضوح انتقال شمس الحضارة من الأرض الأمريكية إلى أرض أخرى، ومن الشعب الأمريكي إلى شعب آخر نجح في الانتقال من مرحلة ما قبل الحضارة إلى مرحلة الحضارة[2].

أما جاك أتالي Jacques Attali فقد تنبأ بأن أمريكا مهددة بانهيار قادم ومن ورائها الحضارة الغربية ككل، حيث أن الديمقراطية بعد أن حلت محلها آليات السوق والفساد، سيقام نوع من ديكتاتورية السوق بدون وجود مؤسسات ديمقراطية قوية في المقابل، وسيتم شراء النتائج السياسية وبيعها، وسيتحكم اقتصاد السوق في كل عنصر من عناصر الحياة العامة كالشرطة والقضاء والصحة والتربية والتعليم، وفي ظل مثل هذه الظروف ستنهار الحضارة الغربية حتما، وفي ظل تراجع الانتماء الوطني ورفض النخبة السياسية ممارسة مسؤولياتها سيضعف الكيان التقليدي للدولة القومية، وفي نفس الوقت ستسعى كيانات قوية ومسيطرة وأحيانا غير مشروعة، كالشركات المنتجة للمخدرات أو المتاجرة في المواد النووية، إلى استغلال اقتصاد السوق في ظل غياب السلطة المحلية القوية، مما يهدد سلامة الغرب وقيمه الاجتماعية، بل ومعتقداته الدينية التي ستنهار لأن الدين سيصيبه الفساد نتيجةً لسيطرة القيم المادية والتجارية[3].

كما أكد أن من أهم مظاهر ونتائج هذا التناقض بين السياسي والاقتصادي: التأثير القوي للجماعات الضاغطة ذات الطابع المالي والصناعي والتجاري وحتى ذات التوجهات الدينية كاللوبيات اليهودية في المجال السياسي، سواء كان ذلك في الاستحقاقات الانتخابية من خلال تمويل الحملات الانتخابية للمرشحين الذين يؤمل أن يدافعوا عن مصالح هذه الجماعات، أو

(1) فتحي شهاب الدين، **سقوط أمريكا والغرب ..والبديل الإسلامي**، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 28.
(2) نذير طيار، المرجع السابق، ص 10.
(3) Jacques Attali, "The Crash of Western Civilization: The Limits of the Market and Democracy", **Foreign Policy, N°** 107, Summer 1997, pp. 60-61.

www.manaraa.com

من خلال التأثير على نواب الكونغرس بوسائل مختلفة لسن قوانين لصالحها، ومن ثم فإن سلطة وتأثير الأموال تطرد سلطة وتأثير الناخبين[1].

إن الولايات المتحدة الأمريكية، حسب أتالي، ستكون هي الخاسرة أكثر من أي دولة أخرى إذا حدث مثل هذا السيناريو المفزع، حيث إن دكتاتورية السوق ستهدد التكوين الداخلي لأمريكا، وبالتالي ستؤدي إلى صعود فئة لا تعمل إلا لمصلحتها الشخصية، أما خارجيا فإن مثل هذا التصور لا يهدد فقط قطاعات واسعة من المصالح الأمريكية وإنما يهدد أيضا الأساس الأيديولوجي لريّادتها العالمية، وبالتالي فإن انهيار الحضارة الأمريكية سيسبق انهيار الحضارة الغربية، ولتفادي هذا المصير اقترح جاك أتالي مجموعة من الحلول أهمها: [2]

- أن تكون الحضارة الغربية أكثر تواضعا فيما يتعلق بقيمها.
- أن تدرك الحضارة الغربية الحاجة إلى إيجاد حل وسط بين اقتصاد السوق من جهة، وبين الآليات المتحكمة في صنع القرار الديمقراطي من جهة ثانية، بدلا من الانغماس في تمجيد عولمة القيم الغربية.
- أن على الأوروبيين أن يتعلموا من الكفاءة الأمريكية، وعلى الأمريكيين أن يتعلموا من التضامن الأوروبي، ويجب على الحضارة الغربية أن تتعلم الوقوف على قدميها الاثنتين على جانبي المحيط الأطلسي.
- أن على الحضارة الغربية أن تعلن صراحة أنه يمكنها أن تتعلم من الحضارات الأخرى، لأن الحضارات التي استطاعت أن تأخذ من حضارات أخرى أفكارها الفلسفية والأخلاقية قد نجحت فيما فشل فيه الغرب من الحفاظ على كرامة الإنسان وتعزيز التضامن، وأعطى مثالا بالمجتمعات الآسيوية التي رأى أنها تُوازِن بين القوى المتناقضة وتقترح حلولا ممكنة للتناقضات التي تحكم العلاقة بين السوق والديمقراطية، وذلك من خلال قيام الدولة بدور أكثر قوة وفعالية لحماية المواطنين من مخاطر التنافس.

وختم أتالي بحثه بالقول: "كانت هناك تنبؤات كثيرة بانذار الحضارة الغربية، بعضها مستمد من النظرية التاريخية، والبعض الآخر من الافتراضات الثقافية والاقتصادية أو حتى

---

(1) سعد اللاوندي، **القرن الحادي والعشرين هل يكون أمريكيا: بحث في استراتيجيا الصراع من أجل الهيمنة على العالم**، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص 75.

(2) Jacques Attali, op.cit ., pp 61-62.

www.manaraa.com

العرقية. وقد ثبت خطأ هذه التنبؤات في الوقت الحالي لحسن الحظ. إلا أنه لا يجب أن يصدّق أحدٌ أن أية حضارة منتصرة ستبقى إلى الأبد[1].

في نفس السياق أكد نعوم تشومسكي Noam Chomsky على هشاشة وهلامية الديمقراطية الأمريكية نتيجة خضوعها للمنطق الاقتصادي والمادي. حيث قال: "حريٌّ بأي شخصٍ ملمٍّ بالتاريخ ألاَّ يُفاجأ بأن يصاحب العجز الديمقراطي المتنامي في الولايات المتحدة الأمريكية الإعلانَ عن رسالات "خَلاصية" لحمل الديمقراطية إلى عالمٍ "معذَّبٍ"[...]. إن الديمقراطية مقبولة إذا كانت وفقط متوافقة مع المصالح الإستراتيجية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وأتباعها"[2].

المحور الثالث: الولايات المتحدة الأمريكية كطليعة للانحطاط

لقد حدد "موريس بيرمان" Morris Berman في كتابه "انحطاط الحضارة الأمريكية" أربعة عوامل تؤدي إلى انهيار أي حضارة، وهي كما يلي:

- عدم مساواة اجتماعية واقتصادية متسارعة.
- مردود هامشي متناقص تدريجيا بالنسبة للاستثمار في الحلول التنظيمية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية.
- مستويات من الأمية متزايدة بشكل متسارع، ونقص متزايد في الفهم النقدي والوعي الفكري العام.
- الموت الروحي، أي إفراغ المضمون الحضاري وتجميده في صيغ لا قيمة حقيقية لها.

ثم قال بعد ذلك: "يبدو أن هذه النقاط الأربع تنطبق على الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن الحادي والعشرين"[3]. من هنا يمكن التفصيل في أهم الدراسات المتناولة لانهيار الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي.

على المستوى الأخلاقي:

لقد أجمع المفكرون الإسلاميون وفي مقدمتهم حسن البنا وسيد قطب في تقييمهم للحضارة الغربية على أنها حضارة قامت على أساس العصبية القومية، والتفكير المادي، وإطلاق الشهوات الغريزية، وإخضاع الشعوب الأخرى واستغلالها والسيطرة عليها بمختلف الوسائل وفي مقدمتها العنف والقهر والإبادة، ورأوا أنه رغم تقدم الغرب المادي والصناعي

(1) جاك أتالي، **"الحضارة الغربية تحمل بداخلها بذور انهيارها"**، إعداد: سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، ع 144، أفريل 2001، ص 128.

(2) نعوم تشومسكي، **الدول الفاشلة: إساءة استخدام القوة والتعدي على الديمقراطية**، ترجمة: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 309.

(3) موريس بيرمان، **انحطاط الحضارة الأمريكية**، ترجمة: حسين الشوفي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 27.

www.manaraa.com

والعلمي، إلا أنه بسبب تنكره للجوانب الروحية والدينية والأخلاقية السامية قد أدى إلى تعريض البشرية إلى خطر الإبادة [1].

من جهته انطلق الدكتور عباسي مدني في كتابه "نحو إنقاذ الإنسان والإنسانية: أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي" من تحليل عوامل قوة الحضارة الغربية، التي لخّصها في:[2]

- ازدهار ثقافي خلّصهم من عموميات الأدب إلى دقة العلم، وساعدهم على التخلي عن متاهة الميتافيزيقا والفلسفة ومذاهبها الفرعية، ومكّنهم من تعويضها بالعلوم ومناهجها والتكنولوجيا وتطبيقاتها.
- نشدان الحرية في الفكر والعمل، والعمل على توظيفهما في نطاق حضاري أوسع.
- ظهور الوعي السياسي أفضى بهم إلى وعي اقتصادي وتربوي وحضاري.
- الحصول على النخبة الممتازة من العبقريات القيادية في كل مجالات العلوم والتقنيات.

ثم استدرك بالحديث عن عوامل سقوط الحضارة الغربية قائلا: "إن غياب عامل الدين القويم قد أفضى بالتجربة الحضارية الغربية، ومنها الأمريكية، إلى التورط في أخطاء استعصى حلها على عبقرية الإنسان الحديث، وجعل حضارتها تُهَدَّد بالسقوط والانهيار وذلك لعوامل عدة أهمها:[3]

1- إصلاح أمور الدنيا بإفساد الدين، لوضعهما في تصور مغاير إلى حد التناقض.
2- تعويض العقيدة بالأيديولوجيا، الأمر الذي جعلهم يستغنون عن الكامل بالناقص فوقعوا في الاستلاب.
3- طلب العدل عندما يُحْكَمون ويُحاكَمون، ويظلمون عندما يَحكِمون ويُحاكِمون، فتورطوا في الذاتية والنسبية، ففرَّطوا وأفرطوا.
4- فقدان التوازن بين الفضائل في القيم، وتعذُّر الوسطية والاعتدال في الأمور التي لا تتكامل إلا إذا توازنت، كالاعتدال في الروحيات والماديات.
5- انعدام الشمول عندهم في التصور والقيم والمفاهيم والنماذج التي تبنوها على مستوى نظمهم السياسية".

كما حدد الدكتور يوسف القرضاوي خمس خصائص للفكر الغربي الذي تقوم عليه الحضارة الغربية، والتي تعتبر مقدمات لانهيارها، وهي:[4]

---

(1) منير شفيق، **الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات**، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1991، ص ص 51- 52.
(2) مدني عباسي، **نحو إنقاذ الإنسان والإنسانية: أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي**، مكتبة الرحاب، الجزائر، ط1، 1989، ص 18.
(3) نفس المرجع، ص 19.
(4) يوسف القرضاوي، **الإسلام...حضارة الغد**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص ص 13- 23.

www.manaraa.com

- اللُّبس في معرفة الألوهية، فرؤية الفكر الغربي للألوهية لا تقدِّر اللّه حقَّ قدره.
- النزعة المادية، وما تتضمنه من إنكار للغيبيات.
- الصراع، حيث لا يعرف الفكر الغربي السلام ولا الطمأنينة بل يقوم على الصراع بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والإله.
- الاستعلاء على الآخرين، واعتبار أن لا حضارة إنسانية إلا الحضارة الغربية.

لقد شهد شاهد من الغرب على دنو سقوطه وموته، وهو ما ينطبق على قول روجي غارودي Roger Garaudy بأن الغرب هو أكبر مجرم في التاريخ، وأنه بسبب سيطرته الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي لا يشاركه فيها أحد يفرض على العالم بأكمله نموذجه في النمو الذي يقود إلى انتحار سكان العالم، وأن الغرب يحمل في ذاته بذور موته متمثلة في مفهوم شاذ عن الطبيعة، ومفهوم لا رحمة فيه للعلاقات الإنسانية، ومفهوم عن المستقبل مثبط للآمال[1]. ويتفق "أليكسيس كاريل" Alexis Carrel مع غارودي في فكرة مفادها أن للعامل الديني والأخلاقي الدور الرئيس والحاسم في سقوط الحضارة الغربية من خلال انعدام العقيدة المهيمنة على روح الإنسان، وسيطرة النزعات الإباحية والشذوذ والمخدرات والعبثية والضياع، إضافة إلى الإفراط في المادية والتفريط في العامل الديني والأخلاقي[2].

في ذات السياق أكد "جيمس بيكر" James Baker، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، في مقاله "أزمة القيم تكلِّفنا باهظا" على فظاعة وخطورة الوضع الأخلاقي في الغرب وأن تدهور القيم الاجتماعية أدى إلى ارتفاع الفساد في أمريكا، حيث جاء فيه: "إن 73% من الأمريكيين قلقون من أن الأمة تعاني من انجدار أخلاقي، وهم على حق في قلقهم هذا"، ثم ختم مقاله بقوله: "وختاما فإن محاولات الهروب من الأزمة الأخلاقية التي تواجه أمريكا ستكون محاولات لا طائل من ورائها، فالتدهور الاجتماعي يدخل عنوة إلى شوارعنا ومدارسنا وشاشات تلفزيوناتنا.[...] إن المسؤولية الشخصية هي ما جعلنا شعبا قويا، أما الاستمرار في أزمة القيم فسيحولنا إلى شعب ضعيف"[3]، فقد أكدت بعض الإحصائيات على النسب الكبيرة لحالات الولادة خارج الزواج الشرعي في البلدان الغربية، حيث تجاوزت 45% في الدانمارك والنرويج و50% في

(1) روجيه غارودي، **وعود الإسلام**، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص ص 19- 20.

(2) محمد علّلوه، **عالمية الإسلام وقضايا العصر**، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1990، ص ص 77- 78.

(3) حامد بن أحمد الرفاعي، **الإسلام والنظام العالمي الجديد**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419ه، ص ص 169- 170.

www.manaraa.com

السويد، كما تجاوزت 30% في كل من فرنسا وبريطانيا وهولندا وفنلندا... وهو ما يعكس مدى تفشي الانجلال الأخلاقي في الغرب[1].

على المستوى الاجتماعي:

ذهب بريجنسكي[2] Brzezinski إلى اعتبار التعددية الثقافية من بين المشاكل الكبرى التي ستواجهها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن ظهور ثقافة متعددة هو عامل حاسم، فهو من جهة يمثل اعترافا بواقع التعددية الأمريكية ولكنه من جهة ثانية يهدد بتفتيت أمريكا متعددة الطوائف[3].

إذا كان تنامي عدد السكان يمثل منذ وقت طويل علامة على صحة وقوة الأمم، وكان هبوط عدد السكان سمة للأمم والحضارات التي تعيش حالة الانحطاط، فإن الحضارة الغربية تكون- بغض النظر عن القوة والثروة- في حالة حرجة، وذلك لأن عدد السكان في الغرب بدأ بالتلاشي[4]، حيث أنه وحتى وقت متأخر من سنة 1960 كان السكان الأوروبيون ومعهم الأمريكيون والأستراليون والكنديون يبلغون 750 مليون نسمة، أي الربع من ثلاثة مليارات نسمة في العالم، وفي الوقت الذي تضاعف فيه عدد سكان العالم إلى ستة مليارات نسمة في غضون أربعين عاما، أصبحوا لا يمثلون إلا السدس، فقد توقفت الشعوب الأوروبية عن التكاثر، وبدأ عدد السكان في التوقف، بل وفي العديد من البلدان بدأ عدد السكان بالهبوط، ومن بين جميع الدول الأوروبية هناك دولة واحدة فقط هي ألبانيا المسلمة التي تحتفظ بمعدل مواليد كافٍ ليبقيها مستمرة، أما بقية أوروبا فقد بدأت تموت [5].

إن موت الغرب على المستوى السكاني ليس تنبوءًا بما سيحدث بل إنه تصوير لما يحدث، إن أمم الغرب تواجه أزمة ميتة لا بسبب شيء ما يحدث في العالم الثالث، بل بسبب ما لا يحدث في الغرب، فقد مضى على معدلات الخصوبة عقود وهي تهبط، وخارج ألبانيا لا توجد هناك دولة أوروبية واحدة تنجب ما يكفي من الأطفال لتعوِّض النقص الذي تعانيه في هذه الفئة[6].

---

(1) عمر ديوب، "**مؤشرات خطيرة تهدد مجتمعات الغرب بالانهيار**"، مجلة المجتمع، ع1250، 20 ماي 1997، ص45.

(2) مستشار الأمن القومي في عهد جيمي كارتر.

(3) محمد سعدي، "**قراءة في كتاب صامويل هنتنغتن..من نحن؟ الهوية الوطنية وصدام الثقافات**"، **مجلة الدولية، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، المملكة المغربية، ع1، 2005**، ص92.

(4) باتريك جيه بوكنان، **موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب**، ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص31.

(5) نفس المرجع، ص32.

(6) نفس المرجع، ص ص 55- 56.

www.manaraa.com

من أهم الأسباب القائمة وراء انخفاض الزيادة السكانية التي يعاني منها الغرب هو تفكك الأسرة، فهذه الأخيرة التي تعتبر الخلية الأساسية لتكوين المجتمع أصبحت أشلاء محطمة، ومهددة بالانقراض في المجتمع الغربي، وهذا ناتج عن:

- العزوف عن الزواج.
- العزوف عن إنجاب الأطفال.
- تزايد نسبة الطلاق.
- الانحلال الخلقي [1].

لقد أكد من جانبه روجي غارودي أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل كل أعراض الانحطاط، وبصورة أكثر عمقا من الانحطاط الروماني، وذلك نظرا لقيامها بالآتي:[2]

- تفكيك النسيج الاجتماعي من خلال تراجع المسؤولية الجماعية لصالح الأنانية واللامبالاة.
- تفكيك المجتمع بسبب تزايد عدم المساواة والتمييز العنصري والاقتصادي والثقافي.
- تفكيك مستقبل المجتمع بسبب تزايد محاولات الاستفادة القصوى من الحاضر على حساب المستقبل، واستخدام الوسائل المتاحة دون الوعي بالأهداف النهائية الكبرى.

على المستوى الاقتصادي:

لقد استشرف الباحث والمؤرخ الأمريكي "هاري إي فيجي" Harry E.Figgie مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية في سيناريو يتضمن مسلسلا متلاحقا للانهيارات الأمريكية التي تعود إلى الاقتصاد المثقل بالديون على الخزينة الأمريكية، حيث قال في هذا السياق: "..إن بقاءنا صامتين سيكون أسوأ وأخطر بكثير من أي كارثة أخرى، وحينها ستفقد أمريكا الكثير وبشكل سريع جدا، لدرجة أن الجيل الذي سيأتي بعدنا مباشرة سيكون عاجزا عن إدراك واستيعاب ما جرى، ولن يدرك أي شخص ما جرى سوانا نحن، فنحن الذين سنعيش المأساة بقية حياتنا"، ثم أضاف: " ..علينا أن ندرك أننا مسؤولون عن الحفاظ على أبنائنا وعائلاتنا وبلدنا، كما علينا ألا نتوقع أن يتحرك الغرباء لمساعدتنا، ويتوجب على كل فرد منا أن يأخذ العبرة من روسيا ومن الدول الأخرى التي مرت أو تمر بوضع مشابه لوضعنا"، وختم الباحث كتابه بالقول "إن علينا التحرك فورا إذا ما رغبنا في الحفاظ على سمعة ووحدة الولايات المتحدة الأمريكية، وعلينا أن

(1) باسم خفاجي، "**قراءة للواقع الداخلي الأمريكي: مؤشرات ودلائل الانتقال الحضاري**"، في: **الواقع الدولي ومستقبل الأمة**، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع 5، 2008، ص 163.

(2) روجي غارودي، **حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، مصر،ط3، 2002**، ص69.

www.manaraa.com

نتذكر أن الوضع الذي ستؤول إليه أمريكا وما يتبعه من نتائج فضيعة سيكون مأساويا، حيث ستضطر إلى الركوع وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة" [1].

كما حدد بعض الاقتصاديين الغربيين مجموعة من المؤشرات الدالة على الانهيار الوشيك للإمبراطورية الأمريكية، أهمها ما يلي:

- الظلم والجشع الاقتصادي الذي يظهر في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال امتلاك 1% من الأمريكيين- وهم رجال المال والأعمال- ما نسبته 50% من مجموع الثروة فيها، في حين أن 80% من السكان لا يملكون إلا أقل من 8% من مجموع الثروة[2].
- ارتفاع العجز في الميزانية الأمريكية إلى مستويات غير مسبوقة، حيث بلغت(1.342) تريليون دولار سنة 2010.
- ارتفاع العجز في الميزان التجاري بسبب تراجع الصادرات الأمريكية.
- ارتفاع الديون الأمريكية العامة لتصل إلى 13 تريليون دولار سنة 2010.
- ارتفاع ميزانية الدفاع نتيجة لتكاليف التدخلات الأمريكية في العراق وباقي المناطق عبر العالم[3].
- تراجع النمو في الناتج المحلي الإجمالي.
- اهتزاز أسواق الأسهم الأمريكية وفقدان الثقة بها.
- إفلاس المئات من المصانع والشركات الأمريكية وتسريح العاملين بها.
- إفلاس أكثر من 150 بنكا أمريكيا.
- تراجع قيمة الدولار أمام العملات الرئيسة الأخرى.
- تخلص المستثمرين من الدولار بشراء الذهب كمخزن للقيمة.
- ارتفاع معدلات الفقر في أمريكا إلى أعلى مستوياتها حيث تجاوز عدد الفقراء أربعين مليونا في سنة 2010 [4].

وقد ذهب "نعوم تشومسكي" Noam Chomsky إلى الاعتقاد بأن ثمة خللا واضحا في النظام الدولي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، فالنظام اقتصاديا يظهر متعدد الأقطاب (اليابان

(1) هاري إي فيجي وجرالد سوانسون، **الإفلاس 1995: الانهيار القادم لأمريكا**، ترجمة: محمد محمود دبور، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1993، ص 203.

(2) عبد العزيز كامل، "**المؤشرات الدولية للتراجع الأمريكي**"، في: **الواقع الدولي ومستقبل الأمة**، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع 5، 2008، ص 115.

(3) فتحي شهاب الدين، المرجع السابق، ص ص 33- 35.

(4) نفس المرجع، ص ص 37- 38.

www.manaraa.com

وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) أما عسكريا فيبدو أحادي القطبية (الولايات المتحدة الأمريكية)، والقوة العسكرية دون قاعدة اقتصادية تدعمه تعتبر كارثة. ومن ثم خلص تشومسكي إلى أن مصير النظام الأمريكي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة هو الانحطاط والانهيار[1].

في نفس السياق اعتبر روجي غارودي Roger Garaudy أن عبادة السوق والمِلكية المطلقة للمال ستقود الغرب إلى الانحطاط والموت[2].

أما بول كيندي Paul Kennedy فأكد على أن الإمبراطوريات تصعد وتسقط الواحدة تلو الأخرى، وأن هذا القانون ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية التي نجحت في تحقيق تراكم اقتصادي هائل في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وقد استند كيندي في حكمه هذا إلى ثلاث حجج هي:

- إن الولايات المتحدة الأمريكية تتدهور اقتصاديا مقارنة بالدول الصناعية الأخرى خاصة اليابان وأوروبا، وأن هذا التدهور يتعلق بالأداء الاقتصادي العام والقدرات العلمية والتكنولوجية والتعليمية.
- إن القوة الاقتصادية هي العامل المركزي في قوة الدولة، ومن ثم فإن تدهورها يؤثر في الأبعاد الأخرى للقوة القومية.
- إن التدهور الاقتصادي النسبي للولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى الإنفاق العسكري الذي نجم عن توسع التزاماتها الأمنية في العالم، والتي بلغت درجةً لم يعد ممكنا تحمّلها اقتصاديا[3].

في حين وصف بريجنسكي Brzezinski الوضع الأمريكي في فترة ما بعد الحرب الباردة بالمتناقض:

فمن جهة لا تواجه الولايات المتحدة الأمريكية منافسين قادرين على مسايرة قوتها العالمية الشاملة باعتبارها القوة التي تجمع بين أبعاد أربعة هي:

- قوة عسكرية تستطيع أن تصل إلى أي مكان في العالم.
- تأثير اقتصادي عالمي.
- جاذبية ثقافية وأيديولوجية.

---

(1) مصطفى النشار، "**ما بعد العولمة: قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري**"، في **التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع**، تحرير: عبادة كحيلة ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 365.

(2) روجي غارودي، **حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها**، المرجع السابق، ص69.

(3) فنسان الغريّب، **مأزق الإمبراطورية الأمريكية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص45.

www.manaraa.com

- قوة سياسية هائلة نتيجة للأبعاد السابقة.

غير أنه من جهة ثانية فإن ديناميكية التغيير الاجتماعي- الاقتصادي- الثقافي تفرغ هذه الأبعاد من مضمونها ومن أية رسالة مقنعة للعالم، الأمر الذي يهدد بتقويض الدور الخاص بأمريكا في العالم وقدرتها على التأثير بشكل فعَّال وبنَّاء في اتجاه التغيير العالمي، ومن ثم يستخلص بريجنسكي أن التفوق الأمريكي هو واقع ووهم معًا[1].

لقد تنبأ بريجنسكي بالانهيار الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية، إذ اعتبر أن العالم الذي جاء بعد الشيوعية عالما خطيرا ومتوترا، حيث سيوجد في أمريكا نوع من الإباحية المطلقة، كل شيء مسموح ومباح، وبالتالي سوف تتعارض مصالح الأفراد، وسوف يوجد هناك قدر كبير من الأنانية بينهم، تُوجِد انشطارا في المجتمع وخطرا عظيما، إنه عالم يعيش حالة غليان بعد انهيار الشيوعية.

كما أكد أيضا على أن أمريكا المتفردة بقيادة العالم تواجه سلسلة من التحديات والعيوب التي ينبغي التصدي لها كي تمارس سلطة عالمية أصيلة، منها: اللا تنافسية الاقتصادية، وتدهور البنية الاجتماعية التحتية، وظهور اليأس الاجتماعي، والمخدرات والفقر، والفساد الجنسي والأخلاقي، وظهور ثقافة متعددة تنذر بتفتت أمريكا إلى طوائف متعددة، هذا على المستوى الداخلي. أما على المستوى الخارجي، فستواجه أمريكا خصوما عدة تزاحمها على تربع عرش العالم، منها اليابان التي يتنبأ له بأن تستمر قوته نموا، وكذا أوروبا الموحدة، ثم الصين، ليخلص إلى القول أن قوة أمريكا العالمية ستظل لبعضٍ قادمٍ من الزمن من دون نظير، وقدرة أمريكا على قيادة وتوجيه العالم ستعتمد، على المدى البعيد، على الدرجة التي تستطيع فيها التغلب على الانطباع القائل بأن المجتمع الأمريكي أخذ يفقد تدريجيا الأخلاق الضرورية والمعايير الأساسية لممارسة ضبط النفس المسؤول[2].

خاتمة:

انطلاقا مما سبق ذكره من جحج ومنطلقات وعوامل يتضح أن انهيار الحضارة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أمر واقع لا محالة، وهو ما يؤكده قول اللّه تعالى في الآية الكريمة: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[3]، فالتداول سنة إلهية جارية بين الأفراد والدول والأمم في جميع المجالات، إلا أن الإشكالية الأساسية والمصيرية التي تبقى مطروحة ستتمحور حول هوية القوة أو القوى الدولية المرشحة لاستخلاف الغرب وأمريكا في زعامة العالم.

---

(1) السيد أمين شلبي، **من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ط1، 2005**، ص ص 186- 187.

(2) محمد بلحيمر، "**بريجنسكي في كتابه: الفوضى، الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين**"، جريدة الفجر، 19 جوان 2001، ص 19.

(3) سورة آل عمران- الآية 140.

www.manaraa.com